25 - السيدة الرُّبَيِّعُ بنت النضر

أخت المجاهد الصادق

اسمها الرُّبيِّع، والدها النضر بن ضمضم، وكانت تُكنى بأم حارثة، وكان لها أخوان: مالك بن النضر، وأنس بن النضر؛ أما مالك فكان زوج المؤمنة المبايعة المجاهدة أم سُلَيْم بنت ملحان، أنجبت له أنساً، والبراء، وقد فارقها زوجها لإصرارها على الإسلام، ثم قُتل كافراً، وأما أنس بن النضر فقد آمن، وخرج مجاهداً مع رسول الله ﷺ إلى أُحُد فسطَّر صفحةً رائعةً من صفحات تاريخ الإسلام المجيدة، فقد أورد ابن جرير الطبري في تاريخه، عن القاسم بن عبد الرحمن بن رافع، أخي بني عدي بن النجار قال: انتهى أنس بن النضر عم أنس بن مالك إلى عمر بن الخطاب، وطلحة ابن عبيد الله في رجال من المهاجرين والأنصار، وقد ألقوا بأيديهم، فقال: ما يجلسكم هاهنا؟ قالوا: قد قُتل محمد رسول الله ﷺ، قال: فما تصنعون بالحياة بعده؟ قوموا فموتوا كِراماً على ما مات عليه رسول الله ﷺ، ثم استقبل القوم فقاتل حتى قُتل؛ وبه سُمِّيَ أنس بن مالك[1].

حَدَّثَ مُحَمَّدُ بْنُ سَعِيدٍ الْخُزَاعِيُّ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الأَعْلَى، عَنْ حُمَيْدٍ قَالَ: سَأَلْتُ أَنَسًا، قَالَ: وحَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ زُرَارَةَ، حَدَّثَنَا زِيَادٌ قَالَ: حَدَّثَنِي حُمَيْدٌ الطَّوِيلُ، عَنْ أَنَسٍ ﷺ قَالَ: غَابَ عَمِّي أَنَسُ بْنُ النَّضْرِ عَنْ قِتَالِ بَدْرٍ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ غِبْتُ عَنْ أَوَّلِ قِتَالٍ قَاتَلْتَ الْمُشْرِكِينَ، لَئِنْ اللهُ أَشْهَدَنِي قِتَالَ الْمُشْرِكِينَ لَيَرَيَنَّ اللهُ مَا أَصْنَعُ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ أُحُدٍ وَانْكَشَفَ الْمُسْلِمُونَ، قَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعْتَذِرُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ هَؤُلاءِ - يَعْنِي: أَصْحَابَهُ - وَأَبْرَأُ إِلَيْكَ

(1) تاريخ الطبري (2/ 517).

مِمَّا صَنَعَ هَؤُلاءِ – يَعْنِي: الْمُشْرِكِينَ – ثُمَّ تَقَدَّمَ مُقَاتِلاً، فَاسْتَقْبَلَهُ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ فَقَالَ: يَا سَعْدُ بْنَ مُعَاذٍ، الْجَنَّةَ وَرَبِّ النَّضْرِ، إِنِّي أَجِدُ رِيحَهَا مِنْ دُونِ أُحُدٍ قَالَ سَعْدٌ: فَمَا اسْتَطَعْتُ يَا رَسُولَ اللهِ مَا صَنَعَ، قَالَ أَنَسٌ: فَوَجَدْنَا بِهِ بِضْعًا وَثَمَانِينَ ضَرْبَةً بِالسَّيْفِ، أَوْ طَعْنَةً بِرُمْحٍ، أَوْ رَمْيَةً بِسَهْمٍ، وَوَجَدْنَاهُ قَدْ قُتِلَ، وَقَدْ مَثَّلَ بِهِ الْمُشْرِكُونَ فَمَا عَرَفَهُ أَحَدٌ إِلَّا أُخْتُهُ الرُّبَيِّعُ، عَرَفَتْهُ بِبَنَانِهِ قَالَ أَنَسٌ: كُنَّا نُرَى – أَوْ نَظُنُّ – أَنَّ هَذِهِ الآيَةَ نَزَلَتْ فِيهِ وَفِي أَشْبَاهِهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ لِّيَجْزِىَ ٱللَّهُ ٱلصَّـٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٤﴾﴾ [الأحزاب: 23، 24][1].

وروى الإمام أحمد عَنْ أَنَسٍ أَنَّ عَمَّهُ غَابَ عَنْ قِتَالِ بَدْرٍ، فَقَالَ: غِبْتُ مِنْ أَوَّلِ قِتَالٍ قَاتَلَهُ النَّبِيُّ ﷺ، الْمُشْرِكِينَ لَئِنْ اللهُ أَشْهَدَنِي قِتَالاً لِلْمُشْرِكِينَ لَيَرَيَنَّ اللهُ مَا أَصْنَعُ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ أُحُدٍ انْكَشَفَ الْمُسْلِمُونَ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعْتَذِرُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ هَؤُلاءِ – يَعْنِي: أَصْحَابَهُ – وَأَبْرَأُ إِلَيْكَ مِمَّا جَاءَ بِهِ هَؤُلاءِ – يَعْنِي: الْمُشْرِكِينَ – ثُمَّ تَقَدَّمَ، فَلَقِيَهُ سَعْدٌ لأُخْرَاهَا دُونَ أُحُدٍ، فَقَالَ سَعْدٌ: أَنَا مَعَكَ، قَالَ سَعْدٌ: فَلَمْ أَسْتَطِعْ أَنْ أَصْنَعَ مَا صَنَعَ فَوُجِدَ فِيهِ بِضْعٌ وَثَمَانُونَ، مِنْ بَيْنِ ضَرْبَةٍ بِسَيْفٍ، وَطَعْنَةٍ بِرُمْحٍ، وَرَمْيَةٍ بِسَهْمٍ، قَالَ: فَكُنَّا نَقُولُ: فِيهِ وَفِي أَصْحَابِهِ نَزَلَتْ: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ لِّيَجْزِىَ ٱللَّهُ ٱلصَّـٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٤﴾﴾ [الأحزاب: 23 – 24][2].

---

(1) رواه: البخاري/ كتاب: الجهاد والسير/ باب: قول الله تعالى: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾/ برقم: (2595).

(2) رواه: أحمد/ كتاب: باقي مسند المكثرين/ باب: باقي المسند السابق/ برقم: (12612).

إسلامها

ولِمَا أراد الله بالربيع من الخير، فقد سلكت سبيل أخيها أنس بن النضر، فكانت مع الفائزين، وأعرض مالك بن النضر عن طريق أخته وأخيه أنس فكان من الخاسرين، قال تعالى: ﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا﴾ [الكهف: 17].

تربَّت الربيع في ظلال الإسلام الوارفة، ونهلت من أصفى ينابيع الهداية، وأعذب مواردها رسول الله ﷺ، وكانت من الذين قال الله عنهم في كتابه المبين: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ۗ فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَلَهُۥٓ أَسْلِمُوا۟ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ وَٱلْمُقِيمِى ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الحج: 34 - 35].

أم الشهيد حارثة

وحين سمع رسول الله ﷺ أن قافلة لقريش عائدة من الشام يقودها أبو سفيان بن حرب، وفيها أموالٌ عظيمة لقريش، أمر أصحابه باعتراضها، وأخذ ما فيها تعويضاً عن أموال المسلمين المهاجرين التي تركوها في مكة ثم استولت قريش عليها.

وهبَّ المسلمون ملبِّين نداء رسول الله ﷺ آملين الفوز بإحدى الحسنيين: النصر، أو الشهادة.

وكان أبو سفيان قد بعث طليعة أمامه لتوافيه بأخبار المسلمين، ولما علم أنهم سيعترضون طريق قافلته أرسل رسولاً إلى قريش لتنجده، وتنقذ أموالها قبل أن تصبح غنيمة للمسلمين، فدعا أشقى قريش أبو جهلٍ الناسَ لإدراك القافلة، وحماية الأموال، والقضاء على المسلمين، واستطاع أبو سفيان أن يغيِّر طريق القافلة عن طريق المسلمين، حتى وصل بها إلى مكة سالمة، ولما رأت قريش أن أموالها لم تُصب بسوء قالوا: لا حاجة بنا إلى قتال المسلمين، غير أن أبا جهلٍ ركب رأسه، واستسلم لأوهامه، وصمم

على القضاء على المسلمين دون أن يعلم ما يخبئه القدر له من سوء المصير، واستكره الناس على الخروج إلى بدر على الرغم من معارضة الكثيرين له، ولكنهم انصاعوا لإلحاحه، وخرجوا معه كارهين.

وما إن علم رسول الله ﷺ بنيَّة قريش وإعدادها ألف مقاتل للقاء المسلمين في بدر حتى خرج لها في ثلاثمائة وثلاثة عشر من المسلمين، وكان يحمل راية المهاجرين فارس الإسلام علي بن أبي طالب، ويحمل راية الأنصار سعد بن معاذ.

واصطفَّ الجمعان وقد اقترح سعد بن معاذ رضي الله عنه أن يُبنى لرسول الله ﷺ عريش ليراقب سير المعركة ويوجِّهها منه؛ واقترح الحباب بن المنذر رضي الله عنه بناء حوض وملأه بالماء، وتغوير الآبار حتى يشرب المسلمون، ولا يشرب المشركون فقال له رسول الله ﷺ: «**لَقَدْ أَشَرْتَ بِالرَّأْيِ**» ثم قَالَ رَسُولُ ﷺ لأَصْحَابِهِ: «**هَذَا مَصْرَعُ فُلانٍ إِنْ شَاءَ اللهُ غَداً** – قَالَ: وَيَضَعُ يَدَهُ عَلَى الأَرْضِ – **وَهَذَا مَصْرَعُ فُلانٍ هَاهُنَا، وَهَذَا مَصْرَعُ فُلانٍ هَاهُنَا**»، قَالَ أَنَسُ: فَمَا مَاطَ[1] أَحَدُهُمْ عَنْ مَوْضِعِ يَدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ[2].

وقال رسول الله ﷺ: «**اللَّهمَّ لاَ تُفْلِتَنَّ أَبَا جَهْلٍ فِرْعَوْنَ هذِهِ الأُمَّةِ، اللَّهُمَّ لاَ تُفْلِتَنَّ زَمْعَةَ بْنَ الأَسْوَدِ**»، ثم صفَّ المسلمين كصفوف الصلاة، وأمرهم ألا يحملوا حتى يأمرهم، ثم قال: «**إِنْ اِكْتَنَفَكُمْ القَوْمُ فَانْضَحوهُمْ عَنْكُمْ بِالنَّبْلِ، وَاسْتَبْقُوا نَبْلَكُمْ** – أَيْ لاَ تَرْمُوا عَنْ بُعْدٍ – **وَلاَ تَسُلُّوا السُّيُوفَ حَتَّى يَغْشَوْكُمْ**»، قَالَ: فَبَرَزَ عُتْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ وَأَخُوهُ شَيْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ وَابْنُهُ الْوَلِيدُ بْنُ عُتْبَةَ فَقَالُوا: مَنْ يُبَارِزُ؟، فَخَرَجَ فِتْيَةٌ مِنَ الأَنْصَارِ سِتَّةٌ، فَقَالَ عُتْبَةُ: لا نُرِيدُ هَؤُلاءِ، وَلَكِنْ يُبَارِزُنَا مِنْ بَنِي عَمِّنَا مِنْ بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ.

---

(1) مَا مَاطَ: أي مَا تَنَحَّى.

(2) رواه: مسلم/ كتاب: الجهاد والسير/ باب: غزوة بدر/ برقم: (3330).

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**قُمْ يَا عَلِيُّ، وَقُمْ يَا حَمْزَةُ، وَقُمْ يَا عُبَيْدَةُ بْنَ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ**»، فلما قام الثلاثة، ودنوا من فرسان قريش، قالوا لهم: من أنتم؟ قالوا: نحن عُبَيْدَةُ بن الحارث، وحمزة بن عبد المطلب، وعلي بن أبي طالب، فقالوا: نعم، أكفاء كرام، فَقَتَلَ اللهُ تَعَالَى عُتْبَةَ وَشَيْبَةَ ابْنَيْ رَبِيعَةَ وَالْوَلِيدَ بْنَ عُتْبَةَ، وَجُرِحَ عُبَيْدَةُ، فقد اختلفا ضربتين هو وعُتْبَةُ فأثخنتاهما[1] وبادر حمزة وعلي إلى عُتْبَةَ فأجهزا عليه، ثم حملا صاحبهما عُبَيْدَةُ بن الحارث خلف معسكر المسلمين وقد قطعت رجله.

ثم دارت رحى المعركة، واستبسل المسلمون استبسالاً شديداً، وأظهرا شجاعةً فائقةً في مناجزة أعداء الله والدين، وكان رسول الله ﷺ يضرع إلى الله، ويستنجزه وعده بالنصر، ويرجوه أن ينصر المسلمين وأشفق أبو بكرٍ على رسول الله ﷺ من كثرة دعائه وضراعته إلى الله لينصره، روى البخاري عَنْ عِكْرِمَةَ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ وَهُوَ فِي قُبَّةٍ يَوْمَ بَدْرٍ: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَنْشُدُكَ عَهْدَكَ وَوَعْدَكَ، اللَّهُمَّ إِنْ تَشَأْ لا تُعْبَدْ بَعْدَ الْيَوْمِ**»، فَأَخَذَ أَبُو بَكْرٍ بِيَدِهِ فَقَالَ: حَسْبُكَ يَا رَسُولَ اللهِ، أَلْحَحْتَ عَلَى رَبِّكَ، وَهُوَ يَثِبُ فِي الدِّرْعِ، فَخَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَهُوَ يَقرَأُ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴿٤٥﴾ بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ﴿٤٦﴾﴾ [القمر: 45 - 46][2].

وأشرق وجه رسول الله ﷺ فقال لأبي بكر: «**أَبْشِرْ يَا أَبَا بَكْرٍ، أَتَاكَ نَصْرُ اللهِ، هَذَا هُوَ جِبْرِيلُ آخِذٌ بِعِنَانِ فَرَسِهِ يَقُودُهُ، عَلَى ثَنَايَاهُ النَّقْعُ**»[3]؛ وفي

(1) أثخنتاهما: أي جرح كل واحد منهما صاحبه.

(2) رواه: البخاري/ كتاب: تفسير القرآن/ باب: قَولِهِ: ﴿بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ﴿٤٦﴾﴾ يَعْنِي مِنَ الْمَرَارَةِ/ برقم: (4497).

(3) النَّقْعُ: الغبار.

رواية عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ يَوْمَ بَدْرٍ: «**هَذَا جِبْرِيلُ آخِذٌ بِرَأْسِ فَرَسِهِ عَلَيْهِ أَدَاةُ الْحَرْبِ**»[1].

وأخذ رسول الله ﷺ يُحرِّض المؤمنين على القتال، ويقول: «**وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لاَ يُقَاتِلُهُمْ اليَوْمَ رَجُلٌ فيُقْتَلُ صَابِراً مُحْتَسِباً، مُقْبِلاً غَيْرَ مُدْبِرٍ، إِلاَّ أَدْخَلَهُ اللهُ الجَنَّةَ**» ولما سمع ذلك عُمير بن الحُمام أخو بني سلمة، وكانت في يده تمرات يأكلها، قال: بخٍ بخٍ، أفما بيني وبين أن أدخل الجنة، إلا أن يقتلني هؤلاء؟!!، ثم قذف التمرات من يده، واقتحم بسيفه الصفوف، وظل يقاتل مقبلاً غير مدبر حتى سقط شهيداً، رحمه الله تعالى.

روى الإمام مسلم عَنْ أَبِي بَكْرِ بْنِ النَّضْرِ بْنِ أَبِي النَّضْرِ، وَهَارُونَ بْنِ عَبْدِ اللهِ، وَمُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ، وَعَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ – وَأَلْفَاظُهُمْ مُتَقَارِبَةٌ – قَالُوا: حَدَّثَنَا هَاشِمُ بْنُ الْقَاسِمِ، حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ – وَهُوَ ابْنُ الْمُغِيرَةِ – عَنْ ثَابِتٍ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: بَعَثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بُسَيْسَةَ عَيْنًا يَنْظُرُ مَا صَنَعَتْ عِيرُ أَبِي سُفْيَانَ، فَجَاءَ وَمَا فِي الْبَيْتِ أَحَدٌ غَيْرِي وَغَيْرُ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: لا أَدْرِي مَا اسْتَثْنَى بَعْضَ نِسَائِهِ، قَالَ: فَحَدَّثَهُ الْحَدِيثَ، قَالَ: فَخَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَتَكَلَّمَ فَقَالَ: «**إِنَّ لَنَا طَلِبَةً، فَمَنْ كَانَ ظَهْرُهُ حَاضِرًا، فَلْيَرْكَبْ مَعَنَا**» فَجَعَلَ رِجَالٌ يَسْتَأْذِنُونَهُ فِي ظُهْرَانِهِمْ فِي عُلْوِ الْمَدِينَةِ، فَقَالَ: «**لا إِلا مَنْ كَانَ ظَهْرُهُ حَاضِرًا**».

فَانْطَلَقَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَصْحَابُهُ حَتَّى سَبَقُوا الْمُشْرِكِينَ إِلَى بَدْرٍ وَجَاءَ الْمُشْرِكُونَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لا يُقَدِّمَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ إِلَى شَيْءٍ حَتَّى أَكُونَ أَنَا دُونَهُ**».

فَدَنَا الْمُشْرِكُونَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**قُومُوا إِلَى جَنَّةٍ عَرْضُهَا**

(1) رواه: البخاري/ كتاب: المغازي/ باب: شهود الملائكة بدراً/ برقم: (3694).

السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ» قَالَ: يَقُولُ عُمَيْرُ بْنُ الْحُمَامِ الأَنْصَارِيُّ: يَا رَسُولَ اللهِ، جَنَّةٌ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ؟ قَالَ: **«نَعَمْ»** قَالَ: بَخٍ بَخٍ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«مَا يَحْمِلُكَ عَلَى قَوْلِكَ: بَخٍ بَخٍ؟»** قَالَ: لا وَاللهِ، يَا رَسُولَ اللهِ، إِلا رَجَاءَةَ أَنْ أَكُونَ مِنْ أَهْلِهَا قَالَ: **«فَإِنَّكَ مِنْ أَهْلِهَا»**، فَأَخْرَجَ تَمَرَاتٍ مِنْ قَرَنِهِ، فَجَعَلَ يَأْكُلُ مِنْهُنَّ، ثُمَّ قَالَ: لَئِنْ أَنَا حَيِيتُ حَتَّى آكُلَ تَمَرَاتِي هَذِهِ إِنَّهَا لَحَيَاةٌ طَوِيلَةٌ قَالَ: فَرَمَى بِمَا كَانَ مَعَهُ مِنَ التَّمْرِ، وَأَخَذَ سَيْفَهُ، وَرَاحَ يَرْتَجِزُ:

رَكْضاً إِلَى اللهِ بِغَيْرِ زَادِ ... إِلاَّ التُّقَى وَعَمَلِ الْمَعَادِ
وَالصَّبْرِ فِي اللهِ عَلَى الْجِهَادِ ... وَكُلُّ زَادٍ عُرْضَةُ النَّفَادِ
غَيْرُ التُّقَى وَالْبِرُّ وَالرَّشَادِ

وَاقْتَحَمَ عُمَيْرُ صُفُوفَ العَدُوِّ، وَاسْتَبْسَلَ فِي قِتَالِهِمْ حَتَّى مَنَّ اللهُ عَلَيْهِ بِالشَّهَادَةِ، فَهُوَ لَمْ يَتَرَاجَعْ حَتَّى قُتِلَ[1].

وقال عوف بن الحارث - وهو ابن عفراء -: يا رسول الله، ما يضحك الرب من عبده[2]؟، قال رسول الله ﷺ: **«غَمْسُهُ يَدَهُ فِي العَدُوِّ حَاسِراً»**، فنزع درعاً كانت عليه، فقذفها، ثم أخذ سيفه وأقدم فقاتل القوم حتى قتل.

لقد شحذت كلمات النبي ﷺ، ومشاهد البطولة التي أبداها عمير وعوف وإخوانهم همَّة حارثة فخاض غمار القتال، وأبدى أروع استبسال، حتى أوفى بعهد ذي الجلال، ومات ميتة الأبطال، وتوقَّف هدير السيوف، وأسفرت المعركة عن قتل أبي جهلٍ، وأُميَّة بن خلف، وبقية سفهاء المشركين.

وعاد جند الله إلى المدينة بأكاليل الغار ترفرف على هاماتهم رايات الانتصار، ووقف أهالي الأبطال العائدين لاستقبال أبنائهم وإخوانهم

---

(1) رواه: مسلم/ كتاب: الإمارة/ باب: ثبوت الجنة للشهيد/ برقم: (3530).
(2) ما يضحك الرب من عبده: أي ما يرضيه منه غاية الرضا.

وأزواجهم، ووقفت الربيع بنت النضر تنظر إلى الوجوه لتكحِّل عينيها بفارسها المقدام، وشبلها الهُمام حارثة.

ابنها من أهل الفردوس

ورحم أحد العائدين لهفتها، وأشفق على طول انتظارها، فدنا منها وقال لها: يا أم حارثة، احتسبي ابنك، فقد رأيته يُقتل أمامي! وتماسكت أم حارثة، وكادت الغصَّة تخنقها، وأخذت تسترجع، وتقول: إنا لله وإنا إليه راجعون، والتمست الصبر، لكن عينيها لم تطيعاها، فانهمرتا بالدموع.

لقد ربَّت الربيع ابنها حارثة لمثل هذه الساعة، وكانت مستعدة لها، ولكن هل انتهت علاقتها به بعد أن رحل عنها وتركها وحيدة؟ إن أمر حارثة لم ينتهِ عند أمه، فثمَّة شيءٌ يجول في خاطرها، ويلحُّ على ضميرها، فهي لن تقرَّ عيناً حتى تَعْلَمَه، لقد علمت أن حارثة قد قُتل، وانقطعت صلته بالحياة، ولكن بقي عليها أن تعرف إلى أين مضى؟ وأين ينتهي به المطاف؟.

ومن يمنحها الجواب الشافي غير رسول الله ﷺ؟ فلتنطلق إليه ليريحها من قلقها، ويهدِّئ من روعها.

حَدَّثَ عَبْدُ اللهِ بْنُ مُحَمَّدٍ، حَدَّثَنَا مُعَاوِيَةُ بْنُ عَمْرٍو، حَدَّثَنَا أَبُو إِسْحَاقَ، عَنْ حُمَيْدٍ قَالَ: سَمِعْتُ أَنَسًا رضي الله عنه يَقُولُ: أُصِيبَ حَارِثَةُ يَوْمَ بَدْرٍ، وَهُوَ غُلاَمٌ، فَجَاءَتْ أُمُّهُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ، قَدْ عَرَفْتَ مَنْزِلَةَ حَارِثَةَ مِنِّي فَإِنْ يَكُنْ فِي الْجَنَّةِ أَصْبِرْ وَأَحْتَسِبْ، وَإِنْ تَكُ الأُخْرَى تَرَى مَا أَصْنَعُ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«وَيْحَكِ! أَوَ هَبِلْتِ؟! أَوَ جَنَّةٌ وَاحِدَةٌ هِيَ؟ إِنَّهَا جِنَانٌ كَثِيرَةٌ، وَإِنَّهُ فِي جَنَّةِ الْفِرْدَوْسِ»**[1].

وكان جواب رسول الله ﷺ برداً وسلاماً على قلب الربيع، فحمدت

(1) رواه: البخاري/ كتاب: المغازي/ باب: فضل من شهد بدراً/ برقم: (3683).

الله على ما أصاب حارثة من الخير، وعادت إلى دارها بعد أن جادت بفلذة كبدها في سبيل الله تعالى، رحمه الله تعالى.

وبعد فترة وقع شجار بين الربيع ﷺ وإحدى النساء فضربتها الربيع وكسرت ثَنِيَّتَها، وانطلق أهل المرأة إلى رسول الله ﷺ يشكون إليه ما فعلته الربيع بصاحبتهم.

وجاءت الربيع وأخوها أنس بن النضر إلى رسول الله ﷺ فقال لهما رسول الله ﷺ: «**القِصَاصُ!**»، وروى الحادثة البخاري فقال: إِنَّ الرُّبَيِّعَ كَسَرَتْ ثَنِيَّةَ امْرَأَةٍ فَأَمَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِالْقِصَاصِ فَقَالَ أَنَسٌ: يَا رَسُولَ اللهِ، وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لا تُكْسَرُ ثَنِيَّتُهَا، فَرَضُوا بِالأَرْشِ وَتَرَكُوا الْقِصَاصَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ مِنْ عِبَادِ اللهِ مَنْ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللهِ لأَبَرَّهُ**»[1].

لقد أبرَّ الله قسم أنس بن النضر إكراماً لهذه الصابرة المؤمنة المحتسبة أم الشهيد حارثة، لقد صدقت الربيع وابنها ما عاهدا الله عليه، فصدقهما، رحم الله أنس بن النضر شهيد أُحد، ورحم الله ابن الربيع، ورحم الله الربيع، ومتَّعهم بالجنة يوم تزفُّه إلى الحور العين.

(1) رواه: البخاري/ كتاب: تفسير القرآن/ باب: قوله تعالى: ﴿وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ﴾/ برقم: (4245).